

تاريخ الاستلام: 2016/11/13 - تاريخ التحكيم: 2017/04/25 - تاريخ النشر: 2017/06/02

العلاقات الاجتماعية التقليدية داخل الأسرة في المجتمع السوفي.

د. عريق لطيفة (جامعة الوادي)

د. ادريس سفيان (جامعة الجزائر2)



Résumé:

Cette étude visé à essayer d'identifier la nature des relations sociales traditionnelles au sein de la famille dans la société de oued souf on a prie comme notion les valeurs, les normes, les croyances, les relations sociales, le rôle de la famille et de la communication, et les formes de relations sociales, le rôle de la

famille et les caractéristiques les plus importantes, et enfin, la nature et les formes des relations sociales a oued souf .

L'étude a révélé que le contrôle du grand de la famille est encore à ce jour, malgré les progrès réalisés dans la région, qui a touché particulièrement la plupart des aspects de la vie social et culturel, cet contrôle aider a la cohésion des membres de la famille dans la société de oued souf malgré la libération des individus de vivre avec une grande famille, qui a rendu un impact positif sur la qualité des relations et la vie familiale

الملخص

تهدف هذه الدراسة لمحاولة التعرف على طبيعة العلاقات الاجتماعية التقليدية داخل الأسرة في المجتمع السوفي، فتم التطرق إلى كل من مفهوم القيم، المعايير، المعتقدات، العلاقات الاجتماعية، التماسك والتواصل الأسري، ثم أشكال العلاقات الاجتماعية، فدور الأسرة وأهم خصائصها، وأخيرا طبيعة وأشكال العلاقات الاجتماعية في المجتمع السوفي.

وتوصلت الدراسة إلى أن سيطرة كبير العائلة ما زالت ليومنا هذا رغم التقدم الحاصل في المنطقة الذي مس أغلب جوانب الحياة خاصة الاجتماعية والثقافية، وقد ساعدت هذه السيطرة على تماسك أفراد الأسرة السوفية رغم تحرر الأفراد من العيش مع الأسرة الكبيرة، الأمر الذي رجع إيجابا على جودة العلاقات والحياة الأسرية داخلها.

مقدمة:

تعرف العلاقات الاجتماعية بأنها العلاقات التي تربط بين أفراد المجتمع سواء كانت بين أفراد الأسرة الواحدة أو الأقارب أو الجيران أو الأصدقاء أو زملاء العمل....، إلا أن هذه العلاقات الاجتماعية تختلف من فرد إلى آخر ومن أسرة لأخرى ومن مجتمع لآخر من حيث مدى قوة ارتباط الأفراد فيما بينهم، وهذا راجع لعدة عوامل منها العامل الزمني فطبيعة وشكل العلاقات الاجتماعية قدما ليست مثل العلاقات الاجتماعية حديثا، وكذا العامل البيئي فالذين يعيشون في مناطق حضرية روابطهم الاجتماعية تختلف عن الأفراد الذين يعيشون في مناطق نائية أو ريفية.

ويعد المجتمع السوفي من المجتمعات المحلية التي تتميز فيها الروابط الأسرية بقوة فهي أساس العلاقات الاجتماعية داخله، والذي يحاول أن يكسر هذه العلاقة أو يثور ضدها كآثما ثار على العرف والعادات والتقاليد المتوارثة في المجتمع، فكبير العائلة هو الشخص المسيطر والمتحكم في

الشؤون الأسرية والمسير داخلها وعلى غالبية الأفراد سواء نساء أو رجال الانصياع لقراراته وأوامره وبالرغم من تقدم الزمن بقيت هذه الميزة مسيطرة ليومنا هذا. فما هي أشكال العلاقات الاجتماعية التقليدية التي تربط بين أفراد المجتمع السوفي؟

ويندرج تحت السؤال الرئيسي تساؤلات فرعية وهي:

1- هل سيطرة الشخص الأكبر سناً داخل الأسرة السوفية يعتبر من أهم العوامل التي ساعدت على الحفاظ على قوة العلاقات الاجتماعية داخله؟

2- هل هذه السيطرة تجسد مظاهر جودة العلاقات الأسرية داخل المجتمع السوفي؟

3- هل يعد الخوف من العقاب سواء من طرف الأفراد أو المجتمع عند رفض هذه السيطرة هو الذي يجسد مظاهر الجودة في العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع السوفي؟

أولاً: تحديد المفاهيم:

1- **مفهوم القيم:** هي عبارة عن الأفكار المجردة التي تحدد ما يعتبر مهماً ومحبذا ومرغوباً في ثقافة ما (جدنز، أ. 2005: 111)، وهي انعكاس للأسلوب الذي يفكر الأشخاص به في ثقافة معينة، وفي فترة زمنية محددة (خليفة، ع. 1992: 15).

2- **مفهوم المعايير:** تمثل القواعد والمقاييس الثقافية التي يجب على الإنسان أن يأخذها بعين الاعتبار عندما يسلك أو يفكر أو يعبر عن شعور في موقف معين، بهذا تعتبر المعايير منظمة للسلوك الاجتماعي، مما يجعلنا قادرين على اختيار السلوك المقبول اجتماعياً، وتوقع سلوك الآخرين (عثمان، إ. 1999: 169)، كما تعني الاتجاهات والعادات والقيم المشتركة، تلك التي توجه استجابات أعضاء الجماعة وتحقق التطابق في التصرفات البسيطة أو في الأحكام الخلقية المعقدة مما يزيد من وحدة الجماعة فهي تعتبر بمثابة إطار يرجع إليها الفرد كي تكون مرشداً له لما ينبغي أن يكون عليه سلوكه (حجازي، أ. 94-95).

3- **مفهوم العرف:** العرف عبارة عن طائفة من الأفكار والآراء والمعتقدات التي تنشأ في جو الجماعة، ويمثل العرف مقدسات الجماعة ومحرماتها، وينعكس فيما يزاوله الأفراد من أعمال وما يلجئون إليه في كثير من مظاهر سلوكهم الجمعي، ويضطر الأفراد إلى الخضوع لهذه المعتقدات لأنها تستمد قوتها من فكر الجماعة وعقائدها (رشوان، ح. 2006: 157-158).

4- **مفهوم المعتقدات:** هي عادات العقل الفكرية، التي تدلّ على الصواب والخطأ. وهي حاكمة على القيم المؤلدة لسلوك الإنسان. وبالتالي فإن المعتقدات تؤثر بشكل مباشر ليس فقط على فكر الإنسان، وإنما على مشاعره وسلوكه أيضاً ((_____))، مفهوم المعتقدات وطرق اكتشافها).

5- **مفهوم العادات والتقاليد:** العادات ليست إلا أنماط السلوك الجمعي التي تنتقل من جيل إلى جيل، وتستمر فترة طويلة حتى تثبت وتستقر وتصل إلى درجة اعتراف الأجيال المتعاقبة بها، وفي بعض الأحيان نجد أن العادة تقوم مقام القانون في المجتمع.

ويفرق بعض العلماء بين العادة والتقاليد بأن العادة تتعلق بالسلوك الخاص بينما التقليد يتعلق بسلوك المجتمع ككلية، فحيث يشترك المجتمع أو الدولة نجد تقاليد، وحيث لا يشترك نجد عادات، فالاحتفال بأعياد الزواج أو الميلاد الخاصة يعتبر عادة أما الاحتفال بميلاد نبي أو زعيم فيعتبر تقليداً (حجازي، أ. 96-97).

6- مفهوم العلاقة الاجتماعية:

توجد العلاقات الاجتماعية بوجود المجتمع بمختلف بنياته (جمع بنية) ومؤسساته، ويمكن أن نعرفها، بشكل مبسط بالقول أنها: "طريقة في أن نكون معاً، وبالتالي تتجسد حسب ما أبرزها البحث العلمي في لحمة العلاقات القائمة بين البشر وعبر الأشكال التالية: علاقات صداقة (بين مختلف الأعمار، وبين الجنسيات المختلفة، والفئات الاجتماعية)، وعلاقات الارتباط من خلال الخطوبة، والزواج والمصاهرة....." ()

(.....). الشباب في دولة الإمارات والانترنت - مقارنة للتمثيلات والاستخدامات. ص 2).

وتعرف بأنها: الروابط والآثار المتبادلة بين الأفراد والمجتمع وهي تنشأ من طبيعة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم واحتكاكهم ببعضهم البعض ومن تفاعلهم في بوتقة المجتمع ((.....)، العلاقات الاجتماعية).

كما تعريف بأنها: السلوك الذي يصدر عن مجموعة من الناس إلى المدى الذي يكون كل فعل من الأفعال أخذاً في اعتباره المعاني الذي تنطوي عليها أفعال الآخرين (<https://www.facebook.com/permalink.php?id=45>).

7- مفهوم الأسرة: هي مؤسسة اجتماعية تتشكل من منظومة بيولوجية اجتماعية، وتقوم على دعمتين: الأولى بيولوجية، وتمثل في علاقات الزواج وعلاقات الدم بين الوالدين والأبناء وسلالة الأجيال، أما الثانية: فهي اجتماعية ثقافية، حيث تنشأ علاقات المصاهرة من خلال الزواج، ويقوم الرباط الزوجي تبعاً لقوانين الأحوال الشخصية حيث يتم الاعتراف بها (حجازي، م. 2015: 15).

8- مفهوم التماسك الأسري: بأنه عملية نفسية-اجتماعية تؤدي إلى تدعيم بنية الأسرة النفسي-الاجتماعي وترابط أعضائها من خلال روابط الدم والمصاهرة والتآلف والتآزر وتكامل الأدوار، ويقوم ذلك كله بالالتزام وحسن المسؤولية المشتركة والتضحية حفاظاً على الرباط الزوجي وروابط الوالدية والبنوة، بما يوفر متانة البنية الأسرية واستقرارها ونماءها (نفس المرجع: 42-43).

9- مفهوم التواصل الأسري بكونه الاتصال الذي يكون بين طرفين (الزوجين) أو عدة أطراف (الوالدين والأبناء، الأبناء والأبناء)، والذي يتخذ عدة أشكال تواصلية، كالحوار والتشاور والتفاهم والإقناع والتوافق والاتفاق والتعاون والتوجيه والمساعدة (سليمان، س. 2014: 122).

ثانياً: أشكال العلاقات الاجتماعية:

بحسب "تونيز" فإن جميع العلاقات الاجتماعية تنبع من الإرادة الإنسانية، غير أن هذه العلاقات يمكن تقسيمها إلى نوعين مختلفين، ففي المجتمع المحلي نجد أن العلاقات الاجتماعية تسودها (الإرادة الفطرية) فالفلاحون والقرويون يعيشون في ظل علاقات بسيطة تميز الجميع كعلاقات الآباء بالأبناء، والعلاقات داخل الأسرة وعلاقات القرابة والجوار، فهؤلاء يعيشون ويعملون معاً في اتصال وثيق قائم على الانسجام (خریف، ح. 47)، وتتجسد العلاقات الأسرية فيما يلي:

1-علاقة الزوج بالزوجة: (الاتصال بين الأزواج): إن نوع الزواج والأسرة ومدى ما نتوقعه من تماسك في الأسرة وسعادة زوجية يتوقف إلى حد كبير على مدى إشباع الحاجات الشخصية لكل من الزوجين، فإذا وجدت الزوجة أن حياتها الزوجية مشبعة، وأنها تحقق ما تطلعت إليه من أهداف، وما تشعر به من حاجات، فإن ذلك بلا شك يؤدي إلى حرصها على تماسك الأسرة وإلى حرصها على مصدر إشباع حاجاتها وهي الأسرة، وكذلك الزوج الذي يجد في زوجته ما كان يأمل فيه عندما تزوج، وإذا وجد في حياته الزوجية مصدرا لإشباع حاجاتها، فإنه بدوره يعمل على تماسك الأسرة وإسعاد زوجته. وقد وجد -ليفين مونرو- أن هناك نمطين للحاجات النفسية يشبع وجودهما في الأسرة، فالأول هو الحاجة إلى الحب والإعجاب والحماية، أما الثاني فهو الحاجة إلى الاستقلال والحاجة إلى المركز وإشباع الذات (علي، أ. 2012: 206-207)، فيمكن القول أن العلاقة بين الأزواج تمثل صورة للتواصل الجسمي واللفظي والقلبي والفكري (سليمان، س. 2014: 123).

2-علاقة الوالدين بالأبناء: يؤكد العلماء أن الأسرة كوسيط اجتماعي يتفاعل فيه ما هو نفسي عاطفي وما هو معرفي تربوي، فهي التي تؤمن للطفل توافقه الشخصي والنفسي وتكيفه الاجتماعي من خلال إشباع رغباته البيولوجية والعاطفية والاجتماعية والثقافية، وفي كنفها يتعلم الطفل قواعد الحوار وآداب التواصل، وفي ظلها يدرك حريته ويميز بين حقوقه وواجباته (نفس المرجع: 126).

3-علاقة الأبناء فيما بينهم: ترى -سعدية بهادر- أن التفاعل المتبادل بين الأخوة له دور لا يذكر في عملية النضج الاجتماعي للطفل واكتساب العناصر المكونة للشخصية، ويعتبر الأخوة مساعدين في عملية النضج، فمنهم من يتعلم النظر في سلوكه وتصرفاته، فيدرك الممنوع والمرغوب والمسموح به والصواب والخطأ، ويبدأ في التفكير في نفسه، من خلال تصرفاته ونظرتهم إليه ورأيهم فيه، كما يعتبر الطفل إخوته الكبار نموذجاً له يتخذى بهم ويتعلم منهم أساليب السلوك الاجتماعي المقبول، وعن طريقهم يشعر بالحب والعطف والحنان، ويتمكن من تبادل نفس المشاعر معهم فيشعر بالطمأنينة والسعادة وراحة البال (علي، أ. 2012: 209).

ثالثاً: دور الأسرة وأهم أنماطها: تتمثل في ما يلي:

1-دور الأسرة: تعتبر الأسرة مؤسسة اجتماعية لها وجود في كل المجتمعات البشرية، وهي كذلك الوحدة الاجتماعية الأساسية التي يقوم عليها بناء المجتمع، مما جعل من دراسة الأسرة إحدى الضرورات التي تحتتمها ظروف المجتمعات الحالية باعتبار أن الوظائف التي تؤديها ضرورية للمجتمع لكي يحافظ على توازنه واستمراره، ويأتي هذا الاهتمام في زمن كثر الحديث عن الفردانية وتصاعدها، ومنها خطر اندثار وانتهاء -زمن الأسرة- (حمروش، ر. 2009: 237).

ويتمحور دور الأسرة التقليدية حول ثلاثة أهداف: التجدد البيولوجي الديموغرافي، تنشئة الأطفال على الانتماء والالتزام، ونقل الموروث القيمي والثقافي والحفاظ على استمراريته، وذلك في سلسلة متماسكة من دوائر الانتماء والالتزام من الأسرة المصغرة إلى الممتدة، إلى العشيرة إلى القبيلة والوطن، قد يكون هناك أوجه ظلم أو غبن أو تدني عدالة في الأدوار والحقوق، إلا أن الالتزام بالأسرة وتماسكها هو مسألة كيانية حيوية وليست مسألة خيار فردي قابل للتعديل والتغيير.

ولكن مع شيوع الأسرة النووية لم يعد الالتزام مسألة حتمية، حيث تراخت القوى الضاغطة وأفسحت المجال لبروز العوامل الفردية وتزايد وزنها، ذلك أن الأسرة النووية المعاصرة فقدت الدور الحيوي الضامن لتلاحم الأسرة الممتدة والعشيرة ومنعتها، كما أن إنجاب الأطفال وتنشئتهم ونقل الموروث الثقافي إليهم لم يعد وظيفة حتمية للأسرة النووية، بل هو أصبح خياراً ذا قيمة نفسية أساساً، ولم يعد الابن ضامناً لاستمرار

الذرية بالضرورة، ولا حامل للتراث، بل أصبح الأطفال مسألة رضى نفسي اجتماعي، وبالتالي لم يعد الطفل هو إسمنت تماسك الأسرة، بل أصبح خيار نتاج عاطفي - عقلائي عند الأهل (نفس المرجع: 45-46).

فبالأسرة لم تعد تلك الوحدة الإنتاجية التي توفر اليد العاملة وتضمن إعادة إنتاجها، كما أنها لم تعد تحتكر عملية التنشئة الاجتماعية، بحيث أصبحت الأسرة تتقاسم هذه العملية مع مؤسسات أخرى، وهي بالتالي لم تعد لها تلك المكانة والمركز الأساسي فيما يخص العلاقات الاجتماعية (نفس المرجع: 239).

2- أنماط الأسرة: الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى والأساسية التي يتجسد فيها التقاطع بين خصوصيات الجماعة، خصوصيات الفرد لا تحوى التقنين، وخصوصيات الجماعة تفترض التعميم، وعلى ذلك تقوم دينامية الحياة الأسرية: على قاعدة المكان الذي يجمع ذوي القرى برابط القرابة مهما كبر عددهم أو صغر، وعلى قاعدة النظم التي ترعى هذه العلاقات وتراقبها لتعين منها المسوح والممنوع، وإذا كانت الجماعات الأخرى غير جماعة الأسرة تقوم على مبدأ نسبية عمر هذه الجماعات، فإن الجماعات الأسرية تعيش الزمن كله وهي القدر الذي لا مفر منه، سواء أنتج التعامل بين أفرادها إحباطا أو انفتاحا.

والمنطق الذي يحكم العلاقات الأسرية هو منطق كل التبادلات بين البشر، فهو إما أن يكون منطق التبعية لجهة الارتكان المطلق أو النسبي بإرادة وسلطة رب الأسرة في المجالات اليومية، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعاطفية، وإما أن يكون منطق الاستقلالية لجهة التحرر المطلق أو النسبي في المجالات اليومية المذكورة.

وإن حركة الأسرة في أجواء هذين المنطقتين، منفصلين، يؤدي إلى صياغة البنية الأسرية الواسعة والممتدة في إطار منطق التبعية، أو إلى صياغة البنية الأسرية النواتية في إطار منطق الاستقلالية، كما أن حركة الأسرة في أجواء هذين المنطقتين، متداخلين، يؤدي إلى صياغة البنية الأسرية المتحولة (مكي، ع. 2007: 191)، فالبنية الأسرية لا تعني فقط عددا محددا من العناصر التي تعيش معا في مكان واحد، واتي إن توزعت نهارا فهي تعود لتلتقي ليلا، وإنما هي تعني بشكل أساسي مجموعة من النظم التي تربط عناصر الأسرة، ومجموعة من الانطباعات التي توجه مسار هذه العلاقات بالمواقف الايجابية والسلبية المتداخلة والمعقدة (نفس المرجع: 192).

كما ينشأ الضغط بسبب الاختلاف في المواقف الحياتية، المتنوعة، فكل عضو يشكل رأيا شخصيا في قضية معينة، إلا أنه عندما يكون مع الجماعة يحاول أن يقرب رأيه مع آراء أعضاء الجماعة حتى يصبح رأى الجماعة متوحدا.... وتمارس الجماعات الصغيرة نوعين من الضغط الاجتماعي، ضغط داخلي يهدف إلى جعل الأفراد يمثلون للثقافة، ومعايير وقيم الجماعة عن طريق الجزاءات، والنبذ والسخرية، وقد يصل الأمر إلى حد العقاب البدني، وضغط خارجي يتمثل فيما تمارسه الجماعة من ضغوط على التنظيم، والأبنية الرسمية للعمل، والإدارة، والنقابة، حيث يكون تدخل أعضاء الجماعات في القرارات التي تتخذها الإدارة، ولا تناسب جماعات العمل، فترفضها، كما أنها ترفض المشاركة في اجتماعات النقابة، وتحاول إحباط قراراتها إن كانت لا تحقق أغراض الجماعات (الجيلاني، ح. 2014: 167-168).

ومع ذلك يعد المجتمع الجزائري المعاصر على غرار المجتمعات العربية الأخرى عمد إلى التخلي وإهمال النموذج التقليدي للأسرة الكبيرة الممتدة، واتخذ من الأسرة النووية أو الزوجية نموذجا، بحيث إذا ما جئنا إلى إحصائيات الديوان الوطني للإحصائيات التي قام بها سنة 1998، نجد بأنه من مجموع 5.1 مليون أسرة أحصيت سنة 1998، 3.1 نجدها مستقرة في الوسط الحضري، وأن الأسر النووية أو الزوجية -الزوجين + الأطفال- تشكل 78.2% من هذا المجموع، وإذا أضفنا تلك الأسر التي تفتقد إلى أحد الزوجين التي تشكل 12.1% سيصبح المجموع

90.3% من الأسر هو من صنف الأسر النووية أو الزوجية، ويعتبر هذا مؤشرا هاما للتغيير الاجتماعي، والملاحظ هو أن هذا التغيير تم بسرعة فائقة، بحيث لم يتجاوز مدة زمن وجيل واحد، فالتغيير بهذا الشكل يفترض تحولا جذري للشروط المادية للحياة، وكذا التغيير في الذهنيات (حمدوش، ر. 2009: 239)..... فعندما تحصل هناك تغيرات من هذا الحجم وفي فترة زمنية قصيرة مثلما هو الشأن في المجتمع الجزائري، نجد أن ممثلي الجيل السابق -جيل الآباء- الممثلين للنظام -القديم- أو -التقليدي-، لم يرحلوا بعد حتى يدركهم الجيل الموالي، جيل التجديد أو -الجيل المتطلع- (نفس المرجع: 239).

إن التعقيدات والتحولات العديدة التي عرفها المجتمع أدت بدورها وأثرت هي الأخرى على أنماط وأساليب وطرق تبليغ الوظائف والأدوار الأسرية (نفس المرجع: 244).

فنمط العلاقات وكل ما هو إنتاج علائقي داخل الأسرة الجزائرية المعاصرة -ممتدة كانت أو نووية، نجده يأخذ شكل رباط وعلاقات أين يتعايش في انسجام عناصر -ثقافية- تنتمي إلى الماضي، مع عناصر أخرى تم استدخالها حديثا، أي عناصر ذات خصوصيات المجتمعات الموصوفة بالحديث والمعاصرة، نجد بأن الأفراد إذا داخل الأسرة مهما كان نوعها، يعملون على تسطير استراتيجيات عند بناء علاقاتهم مع الغير على أساس معادلة ثنائية تتمثل في الاحتفاظ بتلك الطرق -التقليدية- و-الماضية- في السلوك، مع تبني واستبطان لطرق أخرى -حديثة- في التصور والسلوك (نفس المرجع: 281).

وفيما يخص الأنماط الثلاثة للأسرة الجزائرية المعاصرة التي تم استلهاها حسب -حمدوش رشيد- من الأنماط والنماذج الفكرية والتفكيرية للدراسات التي قام بها، هي:

النمط الأول: النمط المفتوح أو النمط المجتمعي/ التعاقدية (الحديث) (نفس المرجع: 288): ومن خصائص هذا النمط كونه أكثر تقبلا للأفكار والتكنولوجيا الحديثة ومنه أكثر مثالا ومثالاً للتجديد..... أما بخصوص اتخاذ القرارات في مثل هذا النمط، فهي تتم على أساس من العقل والمنطق بما يحقق الأهداف المسطرة، كما يشجع على رؤية الذات في الآخرين (نفس المرجع: 289).

كما يجب أن يتم الزواج خارج الأسرة القربية والشكل الأحادي هو المحبذ أما بخصوص التقاليد فالأغلبية منهم ترى بأن الحفاظ عليها غير ضروري ولا تفيد في شيء.....، وفيما يخص اتخاذ القرارات داخل الأسرة يرى هؤلاء بأن القرارات يجب أن تتخذ بكل ديمقراطية، وتشاور بين الزوجين مع إشراك الأولاد في بعض المسائل، فالانفصال عن الأسرة والمجموعة الأسرية المحلية بالنسبة لهم، هو ضروري ووسيلة للحفاظ على العلاقات الأسرية الجيدة، ففي الانفصال طريق لتقوية الروابط الاجتماعية (نفس المرجع: 290).

ومصطفى حجازي يمثل هذا النمط بالدار تصدعت جدرانها وانهار سقفها ولم يعد فيها نواة سلطة وقواعد وحدود مرجعية مفروضة فوقيا أو متوافق عليها، قد نكون بصدد نوع من التماسك الشكلي الظاهري كما هو الحال في أسر التصدع الأفقي، تتحول الحياة الاجتماعية إلى مجرد تواجد يحافظ على الظواهر، فيما يسمى البيت الفندق، كل عضو في الأسرة يعيش حياته الخاصة في حالة من سيادة الفردية ومصالحها وأهوائها وتوجهاتها، ولكل عضو حياته المرتبطة بالخارج أساسا مع الحد الأدنى من التفاعل مع الداخل، هناك غياب شبه كامل تجاه الأسرة وحياتها، وتجاه أعضائها لبعضهم البعض، وهناك بالتالي غزو للعالم الخارجي لحياة الأسرة حيث تصبح منظومتها شكلية محضة، هنا لا يتهدد التماسك الأسري وحده وإنما منظومة الأسرة ذاتها هي التي تتهدد بالتصدع والتفكك، وبالتالي فإن هذه المنظومة الأسرية هي الأكثر تعرضا للمخاطر الاجتماعية بعد أن فقدت تماسكها الذاتي (حجازي، م. 2015: 44-45).

النمط الثاني: النمط المغلق أو النمط المحلي/الجماعي (التقليدي): فهي أسرة ترمي أولاً وقبل كل شيء للحفاظ على نظام داخلي محدد بشكل صارم، تكون فيه نوع السلطة عمودية، والتركيز فيها يكون حول احترام التقاليد، وحدة المجموعة، والاندماج الستاتيكي مع الخارج والتعامل معه يكون بحذر وتحفظ الشباب في هذا النمط يتلقى تنشئة اجتماعية يشجع الاتصال الدائم، المكثف والقوي للفرد بمجموعته المرجعية القريبة (الأسرة)، وعدم الانفصال عنها، فمثلاً فيما يخص الزواج، لا يبالي الشاب المصنف ضمن هذا النموذج -المغلق/التقليدي، في أن يكون الوالدين هما المشرفان على اختيار زوجة أو زوج له، كما أن الزواج من داخل الأسرة شيء مرغوب فيه ولا يدعو إلى القلق، أي أن الشاب هنا يسجل حضوره على امتداد مع الجيل السابق (جيل الآباء) (حمروش، ر. 2009: 290)، فالأسرة في النمط المغلق/المحلي يشجع على الامتدادية والاتصال بالجماعة المرجعية الضيقة، بحيث يرى في هذه الامتدادية ضماناً للتواصل الجيلي وتخليداً للعادات والتقاليد وترسيخها في المجتمع (نفس المرجع: 291).

ويضيف كذلك **مصطفى حجازي** بوصف هذا النمط بالدار المغلقة الأبواب والشبابيك على العالم الخارجي، لا يقوم بين الأسرة ومحيطها الاجتماعي إلا الحد الأدنى من علاقات التفاعل والتبادل، يقتصر أحياناً على رب الأسرة باعتباره السلطة المركزية.... يذوب أعضاء الأسرة في عالمها الداخلي المغلق ويفتقدون التواصل مع المحيط إلا بالحدود الدنيا، وبإشراف متشدد من رب الأسرة الذي يشكل المرجعية ويضع القواعد في علاقة تسلطية ذات اتجاه واحد من أعلى إلى أسفل، تفرض أحادية القرار والتوجه، يؤدي هذا التماسك المتصلب والمغلق إلى تراكم مشاعر الاختناق والتوتر الذي يولد بذور التمرد والثورة حين تتراخى السلطة المركزية لأي سبب كان، وهنا قد تنفجر المنظومة الأسرية ذاتها (حجازي، م. 2015: 43-44)، وكان يشيع هذا التماسك المغلق في بعض الشرائح الأسرية فيما مضى، ولكنه الآن يتراجع باضطراد مع انفجار الانفتاح وتحولات التحضر السريع (نفس المرجع: 44).

النمط الثالث: النمط البيئي أو الوسيط: وهناك من الباحثين أمثال -**كنطور ولهر**- من يطلق اسم النمط العشوائي أو للتعبير على ذلك النمط من الأسر الذي يعتمد الوسطية والتنوع في العلاقات والتفاعلات ضمن الأعضاء المصنفين والمنتمين لهذا النموذج..... فالنمط البيئي هذا هو ذلك النمط الذي يمتاز بطابعية أو عادة مكتسبة متشعبة أو مشتتة كما يعبر عنه **بيار بورديو** أو طابعية ممزقة مبعثرة ما يعبر عنه عبد الحفيظ حموش (حمروش، ر. 2009: 293).

فالأسر المصنفة ضمن هذا النمط تقوم على أساس تنوع كبير فيما يخص تنظيمها وعلاقاتها الداخلية، أي ما يميزها هي المرونة والليونة، فالقيمة والميزة الأساسية لهذا النموذج من الأسر هو الإبداع الذي يختص فيه أفرادها، إبداع عن طريق اعتماد استراتيجيات المفاوضة، وكل أنواع المروعة والمناورة للوصول إلى تحقيق الهدف المسطر وإلى نسج شبكة علاقاتها الاجتماعية والرباط الاجتماعي ككل (نفس المرجع: 294)، ومنه فإن الانفصال ما هو إلا انفصال ظرفي ومؤقت من كل تلك الانتماءات والمرجعية الأسرية أو العشائرية، فالحديث إذاً في مثل هذا النمط البيئي يكون عن ذلك التغير الذي يأخذ مجراه من النمط المحلي/التقليدي نحو النمط التعاقدية/الحديث (نفس المرجع: 295).

ومن جهته كذلك يصف **مصطفى حجازي** هذا النمط بالدار المفتوحة الأبواب والنوافذ على العالم الخارجي، والتي تنشط فيها وسائل الاتصال والتفاعل مع المحيط الاجتماعي المحلي والمجتمعي والدولي، للدار حدودها المعروفة التي توفر لها الاستقلالية الكيانية والحياة الداخلية الخاصة، إلا أن لها حدوداً ومنافذ واضحة على العالم الخارجي الذي تتفاعل معه، هناك سقف يمثل المرجعية والسلطة ويتمثل في قواعد وأدوار ومكانات بين أعضاء الأسرة تتكامل فيما بينها، وهناك علاقة شبكية أفقية تفاعلية تبادلية بين كل من الزوجين وبينهما وبين الأبناء، القواعد

والنظم والتوجهات والحدود متوافق عليها عادة وتتصف بالمرونة بما يجعلها تتكيف مع المتطلبات التي تفرضها مراحل نمو الأسرة من ناحية، ومن المستجدات التي يفرضها التكيف مع متغيرات البيئة المحيطة، منظومة الأسرة بحدودها المرنة تشكل كيانا ناميا يتبادل التأثير والتأثير مع المحيط، وبالتالي فهي منظومة متطورة توفر قطاعا ذاتيا لكل من أعضائها، وقابلية استقلال الأبناء من ضمن أطر التماسك الداخلي وقواعد يلتزم بها الجميع ويستفيد منها الجميع (حجازي، م. 2015: 44).

خامسا: العلاقات الاجتماعية التقليدية والحديثة في المجتمع السوفي:

شهدت روما القديمة بدايات مجتمع سيطرة الأب، وما زالت سيطرة الأب قائمة في معظم المجتمعات في الوقت الحاضر، كانت قوى الأب مطلقة في أسر روما حيث كان يقوم بفحص طفله عند ميلاده، ويقرر ما إذا كان سوف يسمح له بالحياة أم لا، وتستمر قوة الأب المطلقة خلال حياته كلها حتى بعد أن يكبر أطفاله ويتزوجون طالما أنهم يعيشون في منزله، وكان القانون يعطي الأب الحق في جلد أطفاله بالسوط أو بيعهم كعبيد أو نفيهم أو حتى قتلهم (موسى، ف. 2004: 20-21).

وهذا النظام الاجتماعي لا يختلف كثيرا عن النظام الاجتماعي في المجتمع السوفي من حيث سيطرة الأب على باقي أفراد أسرته، إذ يندرج النظام الاجتماعي في وادي سوف من الأسرة إلى العائلة فالعرش ثم القبيلة ثم الحي، وهكذا، والأسرة هي النواة الأولى للمجتمع وقائدها الأعلى هو الأب وقد تصل القيادة إلى الجد، لأن العادة قضت بتجمع الأسرة في أحيان كبيرة حتى تصل الأحفاد وليس من السهل الانفصال إلا للضرورة قصوى، وتتحول القيادة للابن الأكبر في حالة وفاة الأب، أما المرأة فهي نواة هذه الأسرة ومنسقة شؤون البيت والقائمة على تربية الأولاد (منصوري، أ. 2015: 21)، قبل التطرق لأشكال العلاقات الاجتماعية التي تجمع بين أفراد الأسرة في المجتمع المحلي السوفي نتطرق إلى مكانة كل من كبير الأسرة، ومكانة كل من الرجل والمرأة والفتاة حتى نستطيع تحديد شكل العلاقة من خلال الصورة والقيمة التي يعطيها أفراد المجتمع السوفي لكل فرد داخله حسب مكانته الاجتماعية وحسب جنسه (ذكر/أنثى).

أ-قيمة كبير الأسرة: لكبير الأسرة في المجتمع السوفي قيمة كبرى، فهو الأب والقائد والقائم على شؤون الأسرة، وهو المستشار والمدير لأموالها، ولا يتم شئ فيها إلا بإذنه ووفق إرادته (نفس المرجع: 21).

ب-قيمة الرجل عند المرأة السوفية: مستمدة من الشريعة الإسلامية السمحاء، فهي مطيعة لزوجها أمينة على ماله حافظة لعرضه، وهي المثل للمرأة الصالحة.... فالمرأة السوفية لا تعصي لزوجها أمرا وتمثل لأوامره في جميع الأحوال، فلا تخرج من المنزل إلا بإذنه ولا تعطي شيئا إلا بإذنه ولا تتصرف في شئ إلا بأمره فهو المسؤول عن إطعام وكسي العائلة، وهو الأمر النهائي، حتى أنها تستشير في نوع الطبخ الذي يناسبه في الفطور أو العشاء (نفس المرجع: 10).

هذا وإن المرأة السوفية لا تأكل أمام الرجل وبحضوره، وقد بلغ بها الأمر حتى أنها لا تذهب إلى المحاض للاستراحة وهو يشاهدها، ولا تظهر أمامه إلا بالمظهر الحسن والريح الطيب، أما إذا خرج من البيت إلى السمر مع رفاقه ليلاً فإنها لا تنام حتى يعود، وإن طالت مدة سمره.... إلا إذا أذن لها بالنوم لأن سهره سيطول، هذا إن كان حاضراً ومقيماً في البلد، أما إن غاب عنها إلى الشمال أو إلى بلد مجاور -تونس أو ليبيا- لطلب الرزق أو من أجل الدراسة وطلب العلم، فإنها تبتذل ولا تتزين، ولا تلبس الثياب الفاخرة ولا تمس الطيب إلا للضرورة، ولا تخرج عند غيابه أبداً.... إلا إذا أذن لها بذلك قبل غيابه، وقد تطول مدة غيابه سنوات عدة، وإن سئل عن وضعها أو عن غيابها لزيارة الأهل أو الأقارب في بعض المناسبات فيقولون: إن زوجها غائب أو امرأة غائب (نفس المرجع: 10-11).

ج- قيمة المرأة عند الرجل السوفي: إذا ما أصبحت الفتاة زوجة لأحد الرجال فإنها تلتزم بيت زوجها وتقر فيه ولا تخرج منه إلا بإذنه، أو عند الضرورة القصوى، كموت أب أو أم أو أخ أو أخت.... وإذا ما غابت عن المآتم أو العرس فيقولون: إنها زوجة غائب ولم يأذن لها بذلك، هذا ولا ننسى أن من عادات وتقاليد أهل سوف، المحافظة الشديدة على الحرم.

ويظهر ذلك في تصرفاتهم فإن أرادت المرأة الخروج لزيارة أهلها أو تهنئة قريب أو تعزيتة فإنها تخرج لذلك في أوقات محددة وعند فراغ الطرقات من المارة، وخلو السوق من الرجال، وغالباً ما يكون عند صلاة المغرب أو العشاء، بعد دخول الرجال إلى المساجد لأداء الصلاة، ولا تخرج نهاراً إلا عند الضرورة القصوى، وإن أرادت الخروج فإنها تتحجب بغطاء ساتر لكامل جسدها وغالباً ما يكون برنس الزوج، كما أنها تربط خلخالها حتى لا يسمع رنينه عند المشي ويكون الزوج أو المحرم خلفها حارساً لها، ولا تخرج وحدها منفردة أبداً (نفس المرجع: 9-10)، بالإضافة إلى ذلك فإن المرأة عند الرجل السوفي هي الشرف وهي الحاضنة للأسرة، وهي المربية للأطفال (نفس المرجع: 10).

د- قيمة الفتاة في المجتمع السوفي: منذ أن تبلغ الصبية سن المراهقة أو الرشد تصبح مراقبة من طرف الأم والأب والأخ والعم والخال.... وجميع أفراد الأسرة والأقارب.... ثم تحجب عن أنظار الأجانب تماماً، ولا يراها أحد خارج المنزل أبداً... ويطلق عليها اسم فلانة المحجوبة، والويل لها أحد من الأسرة خارج المنزل. هذا ولا تخرج من المنزل إلا عند الضروري القصوى، وإن خرجت فلا تكون إلا برفقة أحد أفراد الأسرة أو الأقارب ولا يكون خروجها إلا عند الأفراح أو الأتراح، وإن هي غابت عن مناسبة ما وسئل عنها فيقولون: إنها محجوبة (نفس المرجع: 9)، أما إذا خطبت الفتاة فتتوسع مراقبتها من الأسرة إلى الخاطب ويطلق عليها اسم فلانة المخطوبة إلى أن يتم الزواج فتصبح حرم فلان، وهذا غالباً ما يكون الخاطب ابن عم أو ابن خال أو قريباً من الأسرة أو جارا (نفس المرجع: 9).

ومنه يمكن تحديد أشكال العلاقات الاجتماعية التقليدية داخل المجتمع السوفي أن أساس أو عماد الأسرة السوفية كان ولا زال عند بعض الأسر يقوم على كبير العائلة، فيكون فيها الشيخ (الشايب) المتحكم، المتصرف والأمر الناهي في كل

شيء داخل المنزل، كما لا يستطيع أحد من أفراد العائلة التكلم أو الاعتراض لما يقوله أو يفعله أو يأمر به، كما لا يمكن أن يخلفه أحد إلا إذا غاب أو مات، فتتولى زوجته (العزوز) أو ابنه الأكبر بعده القيام بمهامه، أو يتولى ذلك أخيه (عم الأبناء) إذا كانوا يعيشون في منزل واحد.

كذلك تجد أن الشيخ هو الذي يتحكم في زواج أبنائه وبناته، وهو المسؤول على الإنفاق عن المنزل وتلبية حاجاته، والمتحكم في دخل أبنائه والمسؤول عن الصرف عليهم وعلى زواجهم وأحفاده، حيث يقوم بكسوة الجميع مرة في السنة وبالعدل، ودون أن يكون للأبناء رأى أو موقف في ما يفعله الشيخ حتى عند تطليق زوجته التي يرغب العيش معها، فكان الاتصال النازل هو نمط الاتصال السائد داخل الأسرة السوفية.

إلا أنه خلال السنوات الأخيرة شهد المجتمع السوفي تغيرات مست البناء الاجتماعي داخله ومنها طبيعة العلاقات التي تربط بين أفراد، فأصبحت أكثر مرونة عن قبل بالسماح لجميع أفراد الأسرة بإبداء رأيهم وعدم التدخل المباشر في شؤون الآخر وخصوصياته خاصة علاقة الزوج مع زوجته، واتجهت الأسر إلى الأسر النووية أكثر مع بقاء ارتباطها بالأسرة الممتدة في كثير من الأمور والقرارات، وهنا نلاحظ أن الأسر السوفية في الوقت الحالي يمكن تصنيفها ضمن نمط الأسر التي تصنف على النمط البيني أو الوسيط بعدما كانت تعيش سابقاً تحت النمط المغلق أو النمط المحلي/الجماعي (التقليدي)، مع أن هذا لا يمنع أنه توجد أسر لحد الآن تعيش تحت وطأة النمط المحلي.

وعلى الرغم من التحولات التي طالت أشكال العلاقات داخله من مرونة واحترام رأي الآخر إلا أنها حالياً لا تختلف هذه الأشكال عن السابق من حيث التحكم والسيطرة التي ترجع لكبير العائلة فمبدأ الحوار في التشاور حول الأمور التي تخص العائلة سواء بناء المنزل أو شراء سيارة أو بيع أو خطبة أو زواج أحد الأبناء أو البنات أو السفر لقضاء العطلة لم يحدث اختلاف فيها من حيث سن القرارات وهذا راجع إلى احترام الجميع لكبير العائلة وسيطرة العرف والتقاليد على سلوكياتهم وعلى طريقة تفاعلهم مع بعضهم البعض، فبرغم من تشاورهم يبقى رأيه هو الرأي الصائب والذي سوف يتم تطبيقه، ولو كان رأي كبير الأسرة مرفوض عند بعضهم، وهذا ما نجده يندرج تحت ما تسميه -اليزابيث نيومان- دوامة الصمت أنه نتيجة لخوف الفرد من نبذ الجماعة يوافق رأيهم بالرغم من رفضه للمبدأ أو الفكرة في قرارة نفسه.

الأمر الذي يرجع بالإيجاب على قوة الروابط الاجتماعية بين أفراد الأسرة السوفية نتيجة لقلّة المشاحنات والوقوف على رأي واحد في الكثير من القضايا والمواضيع المتعلقة بالأسرة أو غيرها، الأمر الذي يثبت أن جودة العلاقات الأسرية في المجتمع السوفي كانت ولا زالت مبنية على مبدأ الطاعة والخوف من النبذ الاجتماعي وإتباع للعرف والعادات والتقاليد المتعارف عليها في المجتمع على الرغم من التغيرات الاجتماعية والثقافية التي مست المجتمع السوفي نتيجة احتكاك أفرادها بالمناطق المجاورة سواء عن طريق الدراسة أو التجارة أو لقضاء العطل، وبالرغم من خروج المرأة للعمل والدراسة وإعطائها مجال

من الحرية عما كانت تعيشه سابقا، وكذا بالرغم من غزو الوسائل التكنولوجية الحديثة إلى ساعدت على نقل قيم وثقافات دخيلة على ثقافة المجتمع المحلي السوفي إلا أن جودة العلاقات الأسرية والاجتماعية بقيت قوية بين أفرادها.

قائمة المراجع:

-الكتب:

- 1- الجيلاني، حسان . (2014). قضايا اجتماعية معاصرة. بن عكنون: ديوان المطبوعات الجامعية.
- 2- بن الطاهر منصوري، أحمد . (2015). قيم وعادات وتقاليد المجتمع السوفي قديما. الوادي: مطبعة مزوار.
- 3- جدنز، أنتوني. (2005). علم الاجتماع (ط.4). ترجمة فايز الصباغ. بيروت: مؤسسة ترجمان.
- 4- حجازي، مصطفى. (2015). الأسرة وصحتها النفسية (المقومات، الديناميات، العمليات). المغرب: المركز الثقافي العربي.
- 5- خريف، حسين. (د.س.ن). المدخل إلى الاتصال والتكيف الاجتماعي. (د.م.ن): (د.د.ن).
- 6- حمدوش، رشيد. (2009). مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصر امتدادية أم قطيعة (دراسة ميدانية: مدينة الجزائر نموذجا توضيحيا). الجزائر: دار هومة.
- 7- عبد الحميد أحمد رشوان، حسين. (2006). الثقافة (دراسة في علم الاجتماع الثقافي). الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
- 8- عبد الفاتح علي، أماني. (2012). مهارات الاتصال والتفاعل والعلاقات الإنسانية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- 9- عبد الفتاح موسى، فاروق. (2004). النمو النفسي في الطفولة والمراهقة. (ط.2). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- 10- عثمان، إبراهيم. (1999). مقدمة في علم الاجتماع. الأردن: دار الشروق.
- 11- مجدي حجازي، أحمد. علم الاجتماع العام (الأسس والقضايا والمشكلات). (د.م.ن): (د.د.ن).
- 12- محمد سليمان، سناء. (2014). سيكولوجية الاتصال الإنساني ومهاراته. القاهرة: عالم الكتب.
- 14- محمود مكي، عباس. (2007). دينامية الأسرة في عصر العولمة (من مجالات الكائن الحي إلى تكنولوجيا صناعة الجينات). بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

-المجلات:

محمد خليفة، عبد اللطيف. (أبريل 1992). ارتقاء القيم - دراسة نفسية -عالم المعرفة. (عدد 160). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

-المواقع الإلكترونية:

- 1- مقال منشور على الموقع. استرجعت في تاريخ 2016 /11/03. على الساعة 13:54:
- https://www.facebook.com/permalink.php?id=454624881310242&story_fbid=454634351309295
- 2- (_____). الشباب في دولة الإمارات والانتزعت - مقارنة للتمثيلات والاستخدامات. استرجعت في تاريخ 2014/12/12. على الساعة 23:22. حمل من الموقع:
- ...الشباب20%-20%الإمارات20%العربية20%المتحدة... ecat.kfml.gov.sa:88/.../ipac.jsp

3- (_____). العلاقات الاجتماعية. استرجعت 2016/10/15. على الساعة 14:37. حمل من الموقع:

<http://www.alhadiah.com/page6.html>

4- (_____). مفهوم المعتقدات وطرق اكتشافها. استرجعت 2016/10/15، على الساعة 20:29. حمل من الموقع:

<https://www.facebook.com/notes>